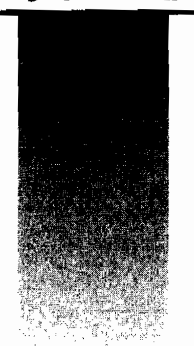


الهمداني ومنهجه التاريخي الحضاري

د.عبد الرب علي حيدر
قسم الفلسفة، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

ملخص:

تحتوي هذه الورقة على مدخل تمهيدي يتضمن مولد الهمداني ونشأته، والأوضاع السياسية والثقافية في اليمن خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد، وحديث عن مشائخ الهمداني وعلمائه، رحلات الهمداني العلمية، ثم الهمداني ونهجه التاريخي- الحضاري، إشكالية دراسة تراث الهمداني، فرضيات في كيفية اختفاء كتب الهمداني، دعوة لإعادة كتابة التاريخ اليمني.

الكلمات المفتاحية: الهمداني، المنهج التاريخي، كتب الهمداني..

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف، والذي يصل نسبه إلى سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان، المشهور بالهمداني البكيلي الأرحبي الصنعاني الذي عاش ما بين 280- 350 أو 360 هـ/ 893- 961 أو 970م. على الرغم من أن موطن الهمداني في الأصل هو "المراشي"، في الجوف، وهي أرض خصبة إلى درجة أن محصول الكروم (العنب) كان يجنى ثمره مرتين في السنة. وبسبب الجفاف الذي أصاب منطقته حينذاك أو ربما لأسباب أخرى " انتقل داوود وابنه يوسف من أجداد الهمداني إلى الرحبة؛ شمالي صنعاء، ولم تقطع الصلة مع الأهل ومسقط الرأس في المراشي...". ثم يضيف العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي، إلى ما سبق الآتي: كان الهمداني ".. ركن من أركان العلم أو حجر زاويته وأساسه لطلاب الحقائق الناصعة الصافية، وقبله رواد المعرفة، والكعبة التي تتوجه أنظار الباحثين وتتيمم صوبها آمال المكتشفين، الذين يطوفون حول معارفه ليزدادوا علماً"[1].

نشأة الهمداني:

نشأ الهمداني وترعرع في فترة كان الصراع على أشده بين ما عرف في الروايات الإخبارية بالعدنانية، التي مثلها - حسب تلك الروايات- عرب الشمال، والقحطانية، والتي مثلها - حسب تلك الروايات أيضاً- عرب الجنوب. إذ نسب عرب الشمال أنفسهم إلى عدنان؛ الجد الأول للقرشيين[2]، بينما نسب عرب الجنوب أنفسهم إلى يعرب بن يشجب بن قحطان[3]. وفي ظل تلك الظروف التي عاش فيها الهمداني، فقد" نشأ متمسكاً بأهداب الفضيلة ولوعاً بالعلم والأدب طموحاً إلى المجد ومعالي الأمور، وكان يتمتع بحافظة قوية وذاكرة شديدة،،، مع عفة ونزاهة وفضل وحصانة أخلاف، محاطاً بهالة من الجلال والتكريم حتى من الأمراء والكبراء والملوك يهابونه ويخطبون وده[4].

(1) الهمداني، الإكليل، ج1، تحقيق: محمد بن على الأكوع الحوالي، وزارة الثقافة- صنعاء 2004، ص32-33.

(2) أنظر إن شئت: حسين مؤنس، تاريخ قريش، دار المناهل للطباعة والنشر(د.ت.)؛ كذلك؛ خليل عبد الكريم، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية، ط1، دار سيناء- القاهرة 1993.

(3) أنظر: ميخائيل بيتروفسكي، ملحمة الملك الحميري أسعد الكامل، تعريب: شاهر جمال أغا، وزارة الإعلام صنعاء1981.

(4) الهمداني، الإكليل...، المصدر السابق، ص.38.

الأوضاع السياسية والثقافية في اليمن خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة

كانت دولة الخلافة العباسية قد دخلت في الطور الثاني من مراحل تطورها(232 – 334هـ/ 750- 961م)، وهو ما عرف لدى المؤرخين وكتاب السير بدخول عناصر غير عربية، إلى مراكز السلطة(فرس وأتراك) وإلى قصر الخليفة، بحيث تمكنت هذه العناصر فيما بعد من استلام حكم الدولة، الأمر الذي شجع على بروز حركات التمرد، إلى السطح، وقيام الدويلات المستقلة في مناطق الأطراف ومنها اليمن. فنشأت دولة بني زياد (303- 409هـ /818- 1018م) ومركزها زبيد بقيادة محمد بن عبد الله ابن زياد. وقامت دولة بني يعفر (232- 387هـ/847- 997م) في المناطق الجبلية، ومركزها شبام ثم صنعاء، بزعامة إبراهيم بن يعفر. وعمل كلاً من علي بن الفضل ومنصور بن حوشب على تأسيس كيانات سياسية لهم متخذين من الإسماعيلية مذهباً لها، وكان ذلك خلال الحقبة الزمنية الممتدة من 268- 303هـ/881- 915م. وفي صعده بالشمال تأسست الدولة الهادوية (284هـ /897م)، بزعامة الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم، الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قادماً من جبل الرس بالحجاز[5].

ومن هذه الفترة يرى بعض المؤرخون بدء الصراع السياسي في اليمن بين الحزبين السياسيين الشيعيين الزيدي والإسماعيلي، تلاه بداية الصراع بين الحزب الزيدي وبين الدول اليمنية على السلطة الزمنية[6]. فضلاً عن ذلك استمرت في بعض المناطق كيانات قبلية قائمة تحت زعامات مشيخية محلية، غير خاضعة لأي من سلطات تلك الدويلات.

وشهد القرنان الثالث والرابع للهجرة ظهور كم هائل من الفرق والمذاهب الإسلامية في مختلف ولايات الدولة الإسلامية، امتد الكثير منها إلى اليمن، رافق ظهور تلك الفرق والمذاهب تطور علمي وثقافي. وكون موقع مخلاف اليمن بعيداً عن مركز الدولة الإسلامية فقد غدت محط أنظار الدعاة وأصحاب كل فكر جديد طلباً للأمن والأمان بها، ووسط أهلها الأعزة أباة النفس.

---

(5) حسين عبدالله العمري: الموسوعة اليمنية جـ1، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، دار الفكر، بيروت، ط1، 1412هـ ـ 1992م، ص178،...، 187.

(6)عبدالله بن عبد الوهاب الشماحي، اليمن- الإنسان والحضارة، منشورات المدينة- بيروت-ط2 1987، ص98.

لذلك تعددت المراكز العلمية والثقافية في مختلف مناطق اليمن، كانت أبرزها في تلك المرحلة خمسة مراكز هي:

- صعدة: مقر المذهب الزيدي وفقهه.
- الجند: مقر الفقه الشافعي.
- صنعاء، زبيد: مقر الحديث والفقه الحنفي والمالكي.
- مسور، ويام: مقر الإسماعيلية.
- دوعن: في حضرموت مقر الخوارج[7].

وفي هذا يذكر الأكوع أنه في الفترة التي عاش فيها الهمداني "غزت اليمن المذاهب الفقهية والعقائد العلمية والآراء الفلسفية وغيرها من شتى الفرق والنحل... وفي الوقت نفسه كانت العلوم والفنون الدخيلة على الإسلام والتي لم يعرفها العرب من ذي قبل، كعلوم اليونان وفارس والسند والهند؛ كالطب والفلسفة وتقويم البلدان وغير ذلك. وقد اكتمل تعريبها وتدوينها وإدخال شيء عليها من التحسينات والأفكار الجديدة". ثم يضيف:"... وبرزت علوم إسلامية وعربية مثل النحو واللغة والتفسير والحديث وغيرها"[8].

في صنعاء أصبحت حياة "ولد يعقوب مزيجاً بين حياة البادية التي عاش فيها مع أبيه "يوسف" وبين حياة صنعاء الناعمة"[9].

إن الظروف المرتبة في الحاضرة صنعاء قد كان لها الأثر الكبير في يعقوب، جد الهمداني الأخير من خلال ما اتصف به من فهم وتعقل وحسن تقدير للظروف وملابسات الأشياء وذلك من خلال اتصاله واحتكاكه بذوي الفقه والمعرفة. الأمر الذي ترك أثره في اهتمامه بتربية ابنه أحمد تربية سليمة، إذ وجهه نحو منابع العلم والمعرفة. لذلك أخذ احمد بن يعقوب من العلماء والأدباء في صنعاء "واستفاد إفادة عادت على ولده الحسن، الذي عرف لاحقاً بلسان اليمن الهمداني – بأن جنى ثماره وأصبح علماً يستضاء به ومناراً يهتدى بهديه"[10].

(7) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء – 2004- ص8.

(8) الهمداني، الإكليل..، المصدر السابق. ص38-39.

(9) نفس المصدر، ص36.

(10) نفسه.

مشائخ الهمداني وعلمائه:

يذكر الهمداني شيخه بنفسه، بقوله: إن " جميع ما أخذناه عن أبي نصر البهري عالم حمير ونسابتها ووارث ما ادخرته من مكنون خزائنها"[11]. كما يشير إلى عدد آخر من المشائخ الذين اعتمد عليهم بالكامل- تقريباً- : محمد بن أحمد الأوساني الحميري، الأبرهي الحميري، أحمد بن محمد الأغر الشهباني، اللبخي، الفيروزي، سلمة الخيواني والخضر بن داوود المكي. وربما كان للهمداني أساتذة آخرون، في سائر العلوم والفنون، ولاسيما تلك العلوم الحديثة في عصره والطارئة على العرب؛ كعلوم اليونان والفرس، " من فلك وجغرافية وفلسفة ونحو، كما أخذ عن مشائخ الحواضر ومنهم أبو زغلب الحضرمي ومحمد بن عبيد الله السكسكي، وغيرهم"[12].

رحلات الهمداني العلمية:

رحل الهمداني إلى مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية، من أجل استقصاء المعلومات والحقائق العلمية، والتعرف على حياة الناس في مواطنهم، ومن خلال ذلك الترحال جمع المعلومات في الريف والحضر. كما اتخذ المراسلات وسيلةً من وسائل بحثه وتدويناته وتبادل الرأي والمعلومات مع مختلف الفئات الاجتماعية من ملوك وأقيال وسلاطين سواءً على صعيد اليمن أو خارجه. وزار المراكز العلمية والحضارية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وحضرموت وغيرها[13]. ودرس في مكة المكرمة حوالي ست سنوات.

ألف الهمداني، حسب بعض الروايات حوالي 22 مؤلف، منها ما هو معروف لدى بعض الدارسين والمهتمين في إنتاجه العلمي والأدبي، ومنها ما هو غير معروف إلى الآن. على أننا سنورد هنا قائمة القاضي محمد بن علي الأكوع، وهي:

1. الإكليل – عشرة أجزاء – (ظهر منه أربعة أجزاء).
2. السير والإخبار (مفقود).
3. صفة جزيرة العرب (مطبوع).

(11) نفسه، ص39.

(12) أنظر: المصدر نفسه، ص40-41.

(13) المصدر نفسه، ص40-41.

4. الممالك والممالك اليمنية (مفقود).
5. اليعسوب (مفقود).
6. الأيام (مفقود).
7. سرائر الحكمة (طبع منه المقالة العاشرة).
8. الزيج (مفقود).
9. توحيد الزيج (مفقود).
10. القوى في الطب (مفقود).
11. الحيوان (مفقود).
12. المطالع والمطارح (منه نسخة في مكتبة الإسكندرية).
13. الجوهرتان العقيقتان المائعتان من الصفراء والبيضاء[14].
14. الحرث والحيلة (مفقود).
15. مفاخر اليمن ووقائعها (مفقود).
16. أخبار الإبل (مفقود).
17. أخبار الأوفياء (مفقود).
18. أسماء الشهور والأيام (مفقود)[15].
19. الدامغة (مطبوع).
20. تفسير الدامغة (مطبوع).
21. ديوان شعر الهمداني (مفقود)[16].
22. الوشي المرقوم (مفقود).

الهمداني ونهجه التاريخي الحضاري

ألقت الأقدار على عاتق الهمداني مهمة جليلة وشاقة، تمثلت في التصدي لمختلف الهجمات التي تعرض لها عرب جنوب شبه الجزيرة وحضارتهم. فقد حشد

(14) يشر الأكوع إن الجوهرتان العقيقتان المائعتان: من الصفراء والبيضاء موجود منه نسختان في مكتبة الإسكندرية في مصر. على أن محمود الصغيري يقول: إن كريستوفر تول أصدر هذا الكتاب في أبسالا عام 1968. أنظر: محمود الصغيري، الهمداني: مصادره وآفاقه العلمية، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني- صنعاء – دمشق، د. ت.، ص. 19.

(15) نفسه.

(16) ويروى أنه يقع في ست مجلدات، على رأي ابن خالويه، ويعتقد محمود الصغيري أنه دون ذلك إلا إذا فهمنا المقصود بالمجلدة وحجمها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. نفسه، ص.20.

في معرض ذلك التصدي، معلومات ضخمة ومعارف كثيرة؛ تناولت مختلف جوانب حياة الناس في هذه المنطقة من العالم، فضلاً عن تسلحه بمعارف علمية دنيوية، كالطب والفلك والجغرافية وعلوم الزراعة وغيرها. وأهم من هذا وذاك فقد درس الهمداني لغة المسند السبأي- الحميري لمعرفة مكنون الحضارة اليمنية القديمة عن طريق سبر أغوار تلك النقوش ومعرفة محتواها فضلاً عن دراسته للآثار اليمنية القديمة. لقد تسللت مختلف المذاهب إلى جنوب شبه الجزيرة العربية: منها الديني المتعصب ومنها الشعوبي السلالي، حاول البعض منها طمس كل مساهمات اليمانيين الحضارية في مجال المعرفة العلمية للبشرية بشكل عام. وصور ذلك البعض عرب الجنوب وكأنهم عنصر بشري لايرقى إلى مستوى بعض الجماعات والقبائل العربية البدوية.

وبذلك برز الهمداني للمنازلة مع أولائك الشعوبين، وهو مسلح بشكل فذ لمواجهة تلك المنازلة، وهزيمة الخصوم. وكان أول العلماء الأعلام الذين أبرزوا حضارة اليمن بوجهه المشرق الوضاء، وعظماء أمجاده وذلك بذكر محافد اليمن وقصوره وأسداده وهياكله وآثاره ووصفها وصفاً شيقاً وعلى حقيقتها الماثلة لذلك التاريخ السحيق، وهو ما تضمنته مؤلفاته المختلفة. كما أبرز الهمداني النظام السياسي لدول اليمن القديم في عصرها الحضاري بحيث أثبت أن تلك النظم كانت تتمتع بالشورى. كما استنطق آثار بلاد العرب الجنوبيين، بكل روعتها وما تعبر عنه من ماض تليد.

وفي مجال العلوم الدينية والتفاسير فهم الهمداني آيات القرآن الكريم وسوره، وأحاط بتفسيره ومعانيه. واهتم الهمداني بالعلم الدنيوي: كالفيزياء والفلك والجغرافية، ففرق بين سرعة الضوء وسرعة الصوت، وأشار إلى أن نور القمر مستمد من الشمس، وهو أمر لم يكن معروفاً عند علماء الإسلام وفلاسفتهم قبله. وفي علم الفلك والنجوم أشار في مقالته العاشرة من سرائر الحكمة، التي نوهت إلى مولد الهمداني باليوم والشهر والسنة. فضلاً عن ذلك فقد ألم إلماماً واسعاً بجغرافية المعمورة وطبائع البلدان وسكانها وذكر القارات وأمم أوروبا. وفي الجوهرتين العقيقتين نرى الهمداني أول من أثبت جاذبية الأرض.

وفي مجال علم الفلسفة:

يقول المؤرخون عنه كان الهمداني:الأوحد في عصره الفاضل على من سبقه المبترز على من لحقه الذي لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ولساناً

ورواية وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والأخبار والمناقب والمثالب مع علوم العجم والهندسة والاستنباطات الفلسفية والأحكام الفلكية[17]. ويقول آخرون عنه: "ولا أعلم أحداً من صميم العرب اشتهر بالفلسفة إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث. وقام المترجمون بوضع اسمه في باب "الحكماء" لكون الهمداني علماً من أعلام الفلسفة والحكماء[18]. يعتبر الهمداني أول من جهر بالقول بكروية الأرض، وأنها – غير مسطحة وأقام البرهان على ذلك والأقيسة العقلية الناصعة، في كتابه صفة جزيرة العرب، وجاءت الاكتشافات الحديثة مصداقاً لما جهر به الهمداني.

في الجزء الأول من كتاب الإكليل: يؤرخ الهمداني للخليقة بشكل عام، ويؤصل الأنساب ومنهم نسب مالك بن حِمْيَر. وهو بهذا يريد أن يقول: إن التاريخ كنشاط اجتماعي له وظيفته المحددة – يبدأ مع بداية الوجود الإنساني نفسه[19]. وفي الجزء الثامن من الإكليل: تحدث الهمداني في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات. ويؤرخ لحضارة حمير فيذكر الجوانب العمرانية والروحية فيها، وذلك على النحو الآتي:

الجوانب العمرانية؛ القصور، المدائن(الحواضر والمدن)، المدافن(مخازن الغلال)، المحافد(السدود وقنوات الري). كما أبرز الهمداني، في الجزء الثامن من الإكليل: مساجد اليمن الشريفة (103) والحصون (122)، وسدود اليمن وهي الأسداد الحميرية[20]. وكنوز اليمن ودفائنها[21]، وحروف المسند والقبوريات[22]. كما ذكر ما حفظ من مراثي حمير ومواضع قبورهم[23]؛ قبر قحطان بن هود بمأرب (ووصاياه).

(17) محمد علي الأكوع في الهمداني، لسان اليمن تحرير يوسف محمد عبد الله – ص111.

18) نفس المصدر، ص112.

(19) قاسم عبده قاسم مقدمة ترجمته كتاب – بيريل سمالي – المؤرخون في العصور الوسطى – دار المعارف القاهرة- ط2، 1984 – ص7.

(20) الإكليل: سدود اليمن وهي الأسداد الحميرية، ج8. (ص147)

(21) الإكليل: سدود اليمن وهي الأسداد الحميرية، ج8. (ص151)

(22) الإكليل: سدود اليمن وهي الأسداد الحميرية، ج8. (ص156)

(23) الإكليل: سدود اليمن وهي الأسداد الحميرية، ج8. (ص196)

الجوانب الروحية الثقافية: الشعر، المراثي، المساند.

وفي الجزء التاسع أبرز الهمداني أمثال حمير وحكمها باللسان الحميري وحروف المسند. ومن خلال تسمية هذا الجزء نستشف بأن الهمداني واصل ما كان قد بدأه في خاتمة الجزء الثامن من اهتمام حضاري وتاريخي للجانب الروحي في الحضارة الحميرية. فقد كرس الجزء التاسع لأمثال حمير وحكمها من خلال المأثور من اللغة والقول الشفوي أو من خلال ما هو مدون بخط المسند.

وبهذا يكون الهمداني قد سجل موقفاً ريادياً في كتاباته إلى جانب رياديته في مجالات مختلفة، عندما ركز في كتاباته التاريخية على المآثر والمنجزات الحضارية، التي تعكس مستوى العلم والفن المعماري في إنشاء القصور، والحصون والمدائن وما يرتبط بها من فنون التخطيط وما يلزم ذلك من اختيار المواقع المناسبة والأمينة وما لها من مدلولات على الاستقرار والتحضر وما يرافق ذلك من الاعتناء بالسدود لحصد المياه وتجميعها للاستفادة منها على مدار السنة. وما ينتج عن ذلك من وفرة في المحاصيل في موسم الحصاد وحفظ الفائض وخزنه؛ إما لبقية فصول السنة أو توفير مخزون غذائي للظروف الاستثنائية كالجفاف أو الحروب.

فضلاً عن ذلك فقد انتقل باهتمامه بجوانب الحضارة الثقافية أو الروحية. فيذكر الشعر والشعراء ودون مقتطفات من إنتاجهم. واهتم بالأمثال والحكم التي تعكس بشكل مركز خلاصة التجارب والرواء الفلسفية والمعتقدات الدينية لسكان اليمن القديم أو معاصريه. وأخذ الهمداني يؤرخ لليمن إنساناً وحضارة وبشكل جدلي. ففي الوقت الذي اهتم فيه بالقبائل وأنسابها لم يغفل الاهتمام بمآثر ومنجزات الإنسان اليمني، وأعار اهتمامه لما يتعلق بجوانب حياته الروحية. فدون حروف اللغة اليمنية القديمة (حروف المسند) وخاطب النقوش، ولم يهمل العبادة، فذكر دور العبادة في ربوع اليمن[24]، والقبور وكنوز اليمنيين ودفائنها[25].

ولم ينس أن يذكر الحصون والقلاع العسكرية، كل هذا وغيره يشهد إن الهمداني كان مؤرخ حضارة تليدة وعريقة، وأن تاريخ هذه الحضارة هي من صنع

(24) الإكليل: سدود اليمن وهي الأسداد الحميرية، ج8. (ص103)
(25) الإكليل: سدود اليمن وهي الأسداد الحميرية، ج8. (ص151)

شعب عريق. وبذلك يكاد يقول الهمداني: إن تاريخ اليمن هو تاريخ ما أنجزه الإنسان اليمني في تلك المرحلة التي شملها مؤلفه الخالد الإكليل بأجزائه العشرة. والتي يبدأ فيه بالتاريخ لبدء الخليقة.

إشكالية دراسة تراث الهمداني

سبق الحديث عن أن الهمداني عاش في ظل ظروف اتسمت بالازدهار العلمي والثقافي، وكذلك بروز فرق سياسية ودينية مختلفة، وهو ما عكس نفسه على التطور المعرفي والإنتاج الفكري لديه. على أنه يجب ألا ننسى أو نغفل إن الصراع الديني المذهبي في تلك الحقبة الزمنية قد عكس نفسه على النتاجات الفكرية والعلمية لمؤلفي تلك الفرق السياسية - المذهبية. وبرز ذلك بوضوح في اختفاء أو إخفاء للمؤلفات العلمية والفكرية لكل فريق، وهذا ينسحب على مؤلفات لسان اليمن الهمداني، التي لم يصل منها إلى الآن سوى القليل، وهو ما ذكرناه فيما سبق.

لذلك لا غرابة أن يشير بعض المختصين إلى أنه: " لم تعن مصادر تاريخ السنة بذكر أخبار الأئمة الزيديين إلا نادرا، كذلك لم تعن المصادر الزيدية بأخبار الدول السنية إلا بعد القرن العاشر الهجري"[26]. كما انصب الاهتمام بالكتابة التاريخية "بالترجمة لأئمة الزيدية وعلمائها ورؤسائها في اليمن أكثر من اهتمامها بالحوادث السياسية..."[27]. وقد ارتبطت " مصادر تاريخ الزيدية في اليمن بتاريخ زيدية بلاد الجبل والديلم، فلا يفرق مؤرخ الزيدية بين أئمة الزيدية في الديلم وأئمتهم في اليمن " [28].

ومن أسباب إعدام الكتب أو إتلاف التراث ما قد تحويه. إذ أشار بامخرمه إلى أن السبب في فقدان: " المفيد في تاريخ زبيد " يعود إلى انه " كشف أنساب عدة من الناس، كانوا يعتزون إلى العرب، فحكى عنهم غير ذلك، فبالغوا في إعدامه ولم يسمعوا منه بنسخة إلا اشتروها وأعدموها، فلذلك قل وجوده "[29]

(26) أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية طـ 1- القاهرة 1988م، ص 33.

(27) نفس المرجع، ص 34.

(28) نفس المرجع، ص 34.

(29) نقلا عن أيمن فؤاد سيد تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس والهجري. الدار المصري اللبناني القاهرة ط1، 1988م صـ 28 -29.

كما أن مسألة فقدان بعض أجزاء الإكليل تعود إلى القرن السابع الهجري؛ بحسب إبن القفطي، مشيراً إلى خمسة أجزاء هي الجزء الأول، والرابع، والسادس، والثامن، والعاشر[30]. أما ما وصلنا فهي الأجزاء الأول والثاني والعاشر أي أن فقدان أجزء الإكليل الأخرى لم تتم في مرحلة أو في وقت واحد، بدليل ذكر الجزء السادس في القرن السابع الهجري، وعدم ذكر الجزء الثاني في نفس القرن بالرغم من وصوله إلينا.

إن فقدان البعض الأخر من الإكليل قد يعود إلى " أن ظروفاً محلية وخلافات قومية تناولت بالحقد والحسد هذا الكتاب، وكادت تقضي وتعفي على أثارة "[31] وهنا يبرز السؤال التالي: هل افتقادنا لبقية أجزاء الإكليل ومعظم تراث الهمداني كان بفعل فاعل؟ أم لظروف الإهمال وعدم الوعي التاريخي؟

إذا كان ترجيح الاحتمال الأول وهو أن تراث الهمداني قد فقد بفعل فاعل، أي لأسباب سياسية، تتعلق بمواقف الهمداني أو راءه السياسية التي لم ترق لحكام عصره؟ فما هي هذه الآراء والمواقف؟ وإلى أي مدى انعكاسها وتأثيرها على موضوعية الكتابة التاريخية وعلميتها على تاريخ اليمن على مرا العصور؟

فرضيات في كيفية اختفاء كتب الهمداني:[32]

1. أيدي أثيمة سطت على كتبه وأخفتها لتبقى حبيسة الجدران ثم تتلاشى وقد تمزق أو تسلط عليها النار.
2. إفنائها لأسباب دينية، إذ أن تغيب كتب الهمداني من قبل طائفة لا يروق لها فكره وعلمه وتتخذ من الدين سلاحا لها في ذلك. كالقول بأن الهمداني " شحن كتبه بالكفريات كالفلسفة ونحوها، وببغض آل البيت، وهي الذريعة التي ذهب ضحيتها الكثير من أهل اليمن.
3. روح العداء والغيرة من قبل أعدائه المعاصرين له.
4. المحن والكوارث.

(30) ينظر تصدير الأستاذ فؤاد سيد أمين دار الكتب المصرية في كتاب الإكليل جـ1 تحقيق وتعليق محمد بن على الأكوع الحوالي، صادر عن وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، ط1، 2004، ص 9.

(31) نفس المرجع ص 9.

(32) أبو الحسن الهمداني الإكليل، الجزء الأول حققه وعلق عليه: محمد على الأكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004 ص 52- 53.

بعد الإطلاع على قائمة بأسماء العلماء والمدعوين والمشاركين في ندوه الهمداني عام 1982م في رحاب جامعة صنعاء يتضح أن: 12 باحثاً هم مجموع اليمنيين المدعوين للمشاركة في الندوة، من 45 باحث هم إجمالي عدد المدعوين والمشاركين فيها. أي أن الهمداني معروف عربياً وعالمياً، أكثر مما هو معروف بين أبناء بلده، وذلك ليس بسبب الجهل والأمية الكبيرة المتفشية في أوساط الشعب، ولكن بسبب حجم ومحارية تراث هذا العالم الكبير والموسوعي العظيم. يذكر أمين الريحاني بأنه شاهد المجلدات العشرة من الإكليل في خزينة أو مكتبة الأمام يحي. والآن لم يصدر من قبل وزارة الثقافة فقط 4 مجلدات هي الأول والثاني والثامن والعاشر، أما بقية تراثه فهو مفقود أو في المكتبات العالمية. ومن هنا ليس مستغرباً أن يكون المشاركون العرب والأجانب في ندوة أكتوبر 1982م حول الهمداني أكثر بكثير من نسبة اليمنيين المشاركين فيها، وقد يكون لحداثة الدراسة والبحث العلمي الأكاديمي الذي لم يمض عليه 12 عاماً منذ تأسيس جامعة صنعاء، ومن ناحية ثانية يعكس انعقاد الندوة في ذلك الوقت أن جامعة صنعاء برغم حداثة النشأة والتجربة إلا أنها كانت أكثر سخاءً وكرماً مع ميزانية البحث العلمي، حيث استطاعت استضافة تلك الكوكبة من الباحثين والمفكرين والأكاديميين من مختلف جامعات ومراكز الأبحاث العالمية، ومن مختلف المدارس البحثية.

والآن وبعد مضى أكثر من ربع قرن على انعقاد ندوة الشوكاني (أكتوبر1982م) لم تترجم أبحاث تلك الندوة، ولم يعاد نشر موادها كي تكون في متناول الدارسين والباحثين اليمنيين. إن قطاعاً واسعاً من المثقفين اليمنيين يجهلون شخصية وتراث الهمداني، وأن بعض من المثقفين، يمتلكون معلومات مشوهة عنه، والبعض الأخر يرى فيه رمزاً أيديولوجيا في الصراع العنصري العدناني القحطاني. إن الحاجة ما زالت ملحة للبحث عن تراث الهمداني الخالد ودراسته وتمحيصه وهنا نجدها فرصة لتوجيه نداء دولي عبر اللجنة الوطنية اليمنية للتربية والثقافة والعلوم للمنظمات ذات الاهتمام الاليسكو، والايسسكو، واليونسكو بالعمل على عقد مؤتمر علمي عالمي للدراسة و التعريف بالهمداني وتراثه.

دعوة لإعادة كتابة التاريخ اليمني

نتساءل هنا هل نحن بحاجة لإعادة كتابة التاريخ اليمني وأسرع بالإجابة وأقول نعم. وذلك انطلاقا مما سبق ذكره ومن خلال ندوتي الهمداني الأولى أكتوبر 1982م، والثانية، مارس 2010م، التي تقدم لنا مثالاً واضحا، وهو ضياع أو تضييع تراث الهمداني والتي تعود في رأينا ليس فقط إلى موقف سياسي مستمر لأكثر من إلف عام، من قبل عشرات الحكام من الأئمة ولكن إلى موقف إيديولوجي مذهبي وعنصري. وهذا يتضح جلياً من خلال حجب ومصادرة التراث الفكري للكثير من المؤرخين والعلماء والمفكرين، خلال مختلف المراحل التاريخية لكتابة للتاريخ اليمني.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر

1. أبو محمد الحسن الهمداني: الإكليل الجزء الأول حققه وعلق عليه، محمد بن على الأكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء 2004م.
2. أبو محمد الحسن الهمداني: الإكليل الجزء الثامن حققه وعلق عليه، محمد بن على الأكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء 2004م.
3. أبو محمد الحسن الهمداني: الإكليل الجزء الثاني حققه وعلق عليه، محمد بن على الأكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء 2004م.
4. أبو محمد الحسن الهمداني: الإكليل الجزء العاشر حققه وعلق عليه، محمد بن على الأكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء 2004م.

ب. المراجع

1. أحمد عبدالله: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن – فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجري – المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1411هـ / 1991م.
2. الهمداني لسان اليمن:مواد ندوة، تحقيق يوسف محمد عبدالله –دراسات في ذكراه الألفية – جامعة صنعاء، بيروت لبنان،1407هـ /1986م.
3. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، الطبعة الأولى، 1408م هـ 1988م.
4. بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف المصرية، القاهرة الطبعة الثانية 1984م.
5. حسين عبدالله العمري: الموسوعة اليمنية جـ1، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، دار الفكر، بيروت، ط1، 1412هـ ـ 1992م، ص178،...، 187.
6. حسين مؤنس، تاريخ قريش، دار المناهل للطباعة والنشر (د.ن) كذلك خليل عبد الكريم قريش
7. خليل عبد الكريم، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية طـ1، دار سيناء – القاهرة 1993م.
8. عبد الرحمن الشجاع: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وزارة الثقافية والسياحة صنعاء 2004م.
9. عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، منشورات المدينة، بيروت لبنان الطبعة الثانية 1406هـ / 1985م.
10. محمود إبراهيم الصغيري/ الهمداني مصادره وأفاقة العلمية، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، ألف باء دمشق بدون تاريخ.
11. ميخائيل برتوفسكي: ملحمة الملك الحميري أسعد الكامل، تعريب شاهر جمال أغاء، وزارة الأعلام صنعاء 1981م.